

فلسفة الذات والآخر عند سارتر

مسرحية "لا مفر" أنموذجاً

Sartre's philosophy of the self and the other

No Exit play as a model

الدكتور: بوشيك عبد الرحمان

Dr: BOUCHIKH Abderrahmane

1 جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)، bouchikhdahmane@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/11/28

تاريخ القبول: 2024/11/15

تاريخ الاستلام: 2024/06/26

الملخص:

هذه المسرحية بحبكيتها القصصية البسيطة تشرح لنا أفكار "سارتر" الفينومونولوجيا، والانطولوجيا. والتي عرفها بمفهومي النظرة والآخر، والذاتان هما جزء كبير من الصراع النفسي للإنسان. كما أنّ مسرحية "لا مفر" هي معالجة أدبية لفلسفته الوجودية، فوجودية "سارتر" في الحقيقة رفض للمفاهيم الثابتة والموضوعية، لأنه يعتبر أنّ كل شيء شخصي أكثر منه موضوعي. فالقصة تتمحور حول رجل وامرأتين دخلوا إلى الجحيم بعد موتهما، والجحيم في هذه المسرحية هو غرفة أنيقة مؤثثة، والثلاثة عالقون فيها إلى الأبد. والتي تعد تعبير مجازي لفلسفة سارتر الوجودية، وليس الجحيم حسب المفهوم الديني. **كلمات مفتاحية:** سارتر، مسرحية لا مفر، النظرة والآخر، الوجودية، الإنسان.

Abstract :

With its simple plot, this play explains Sartre's ontological and phenomenological ideas, which he defined with the concepts of the vision and the other that make a big share of the human psychological struggle. Besides, this play is a literary treatment of Sartre's existential philosophy, which is a refusal of the self and objective concepts. In this regard, he considers anything as personal more than objective. The story revolves around a man and two women who go to hell after death. Hell in the play is a good furnished room, and the three are stuck there forever. This is a metaphorical expression of Sartre's existentialism, not the hell according to the religious perspective.

Keywords: Sartre; No Exit play; the vision and the other; existentialism; man.

المؤلف المرسل: د. بوشيك عبد الرحمان، الإيميل: bouchikhdahmane@gmail.com

1. مقدمة:

تلقي هذه الدراسة الضوء على قضية مهمة من قضايا الفلسفة الوجودية أو الفلسفة السارترية؛ لأنها تعكس لنا طريقة تفكير الفيلسوف والأديب سارتر وما كان يعتقد عن نفسه وعن العالم من حوله. وقد تكون هذه النظرة صحيحة أو مبالغ فيها أو خاطئة، ولكن في كل الأحوال فإنّ هذه النظرة هي تعبير المؤلف عن مشاعره تجاه الأشياء والأشخاص من حوله، ومدى قربه منهم أو اشمئزازه منهم، ومن أجل تحقيق هدفه المنشود اختار مسرحية "لا مفر"، وقد فضّل "سارتر" القالب المسرحي باعتباره الفضاء الأمثل الذي يمكنه من طرح العديد من القيم الفكرية والفلسفية والإنسانية، المتمثلة في الصراع الداخلي بين الذات ونفسها من جهة وبين الذات والآخر، ومعالجتها بطريقة درامية، وبذلك وضع حجر الأساس لعصر النهضة الفرنسية المعاصرة القائمة على فكر فلسفي جديد.

وعلى إثر هذا التقديم نطرح التساؤل الآتي:

كيف تعكس مسرحية «لا مفر» الأفكار الفلسفية الوجودية المتمثلة في صورة الذات والآخر؟ .

وبناءً على هذا التساؤل جاءت الفرضية على النحو الآتي:

- إسهام جان بول سارتر في إثبات فكره الفلسفي الوجودي، القائم على الالتزام والحرية والمسؤولية، ومبدأ الإرادة والتحرر من خلال مسرحية "لا مفر"، والصراع القائم بين الذات والآخر.

تكمن أهداف البحث فيما يأتي:

- التعرف على الفلسفة الوجودية من خلال مسرحية "لا مفر" وتمثالات الذات والآخر فيها.

- إبراز مكانة العمل الفني الذي قدمه سارتر في مسرحية "لا مفر"، وفرض فكره الفلسفي الوجودي من خلال معالجته لظاهرة نفسية تتمثل في الذات الإنسانية والآخر.

أما عن المنهج المتبع في الدراسة فهو المنهج التحليلي الوصفي، الذي ساعدنا في تحليل الظاهرة المسرحية، وتفسيرها.

2. الوجودية: (Existentialism)

ظهرت الوجودية كمذهب فلسفي مناهضاً للمذاهب الفلسفية الميتافيزيقية، خصوصاً عندما يتعلق الأمر في تحديد بعض المفاهيم والآراء التي اختلف فيها العديد من الفلاسفة، وقد تعددت مفاهيم الوجودية حسب نظرة الفلاسفة الوجوديون، فمنهم من يرى "أنّها أسلوب أو طريقة في التأمل في التأمل قد تؤدي بمن يستخدمها إلى مجموعة

من الآراء التي تختلف فيما بينها أشد ما يكون الاختلاف حول العالم، وحياة الإنسان فيه...فهى فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع" (امام، 1986، الصفحات 11-12) .

وتعرف أيضا على أنها "فلسفة تركّز على الإنسان. وعلى الرغم من أنها لا تعارض العلم، ينصب تركيزها على بحث الذات الإنسانية عن الهوية" (عبدالسلام، 2014، صفحة 21)

وفي ضوء هذين التعريفين، يمكننا القول أنّ الوجودية تمجد الإنسان وذاتيته، والغوص في أغواره النفسية؛ على أساس أنّ الإنسان له حياة ذاتية، بدلا من أن يكون شيئا.

3. مفهوم الذات: (The Self)

الذات هو مصطلح نفسي يستخدمه علماء النفس في كثير من المؤلفات والدراسات والنظريات النفسية، وقد عرف هذا المصطلح حتى في الأعمال الفنية بما في ذلك الدراما، والذي ساعد الكتاب في رسم شخصياتهم وتحليلها.

ومن بين أبرز التعريفات لمفهوم الذات هي:

- "التنظيم المنسق والدينامي لصفات الفرد الجسمية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية، حسب تجليها للآخرين في مجال الأخذ والعطاء داخل الحياة الاجتماعية" (رزق، 1987، صفحة 148)

- ويرى محمد عماد الدين إسماعيل أن مفهوم الذات، هو ذلك المفهوم الذي يشكله الفرد عن نفسه ككائن بيولوجي اجتماعي، أي كمصدر للتأثير والتأثر بالنسبة للآخر" (دويدار، 1992، صفحة 39)

- هي فكرة الشخص عن نفسه، وهي نظرة الشخص إلى نفسه باعتباره مصدر الفعل. " (فهيمى، 1987، صفحة 107)

ومن التعريفات السابقة نرى أنها تركّز على الجمع بين واقع الإنسان، وتصوره لنفسه، وتصورات الآخرين.

ويوضحون على أهمية الجوانب الاجتماعية في توضيح الحقيقة والنفس.

4. مفهوم الآخر: (The Other)

هو كل ما كان موجود خارج الذات أو الأنا المتصورة وكان مستقلا عنها، أو بصورة أخرى هو نقيضها وقد شاع هذا المصطلح في الفلسفة الفرنسية المعاصرة، ولم يستقر مفهوم "الآخر" على تعريف واحد، نظرا لاختلاف وتعدد الأفكار والآراء الفلسفية منذ العهد اليوناني إلى يومنا هذا.

وعليه يعدُّ " الآخر " بالنسبة إلى " سارتر " عاملا فعّالا في تكوين الذات، فوعي الذات الوجودي يكون بناءً على الطرف الآخر، بل ينطوي على أداء يدمّر إنسانيتنا لأنه يربط الكينونة بطريقة جبرية وغير مستقلة بين

لحظتي "ما كان" وما "سيأتي" فهذا الوضع يجعل الكينونة الذاتية تتصرّف بطريقة مخجلة على نظرة الآخر وتحديقه الذي يمنع تماماً حرية الاختيار، لذلك اختتم سارتر مسرحيته لا مفر بمقولته المشهورة الآخرون هم الجحيم". (الرويلي و البازعي، 2002، الصفحات 21-22). وهنا ربط سارتر بين الآخر والجحيم إذ جعل الآخر بالنسبة لنا هو الجحيم.

أما مفهوم "الآخر" عند "ميشال فوكو" فمتعلق بالذات تعلقاً لا فكاً منه، شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت، "فالآخر" بالنسبة إلى "فوكو" هو "الهوية" أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب" (الرويلي و البازعي، 2002، صفحة 22)

ويعرفه دريدا بأن الآخر هو المصدر الحقيقي لأنّ "الأنا لا تستطيع خلق خارجية ضمن نفسها دون أن تصطدم بالآخر" (الرويلي و البازعي، 2002، صفحة 23)

نخلص إلى القول من خلال التعاريف الأتفة الذكر أنّ مفهوم "الآخر" تحدده الذات، ممّا يجعل الآخر مختلفاً عنها ولذلك في نموذج واحد لا يمكن للمرء تحديد الآخر، فهو فقط يختلف عن "الأنا"، وأنّ الذات والآخر مرتبطان ارتباطاً وثيقاً لا يمكن فصلهما، فهما متلازمان رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما، بمعنى أنه يمكن أن نعتبر الآخر من الجانب الفلسفي بوصفه موضوعاً سواء كان صديقاً أو عدواً، أو بوصفه جسراً نتعرّف الذات من خلاله على نفسها، حيث يقول سارتر في هذا الصدد: أنا في حاجة إلى توسّط الآخر لأكون ما أنا عليه...

5. تمثيلات صورة الذات والآخر في مسرحية "لا مفر":

"الجحيم هو الآخرون" هذه هي إحدى أشهر الجمل لجان بول سارتر، وغالباً ما يساء فهمه لأنّها تقال لوحدها، وخارج السياق. تأتي هذه الكلمات من مسرحيته "لا مفر"، التي تدور أحداثها حول رجل وامرأتان ماتوا وانتقلوا إلى العالم الآخر، وتحديدًا انتقلوا إلى الجحيم، لكن دون عذاب ولا نار، ولا زبانية ولا أودية صحقة ملتهبة في جحيم "سارتر"؛ بل الجحيم عنده هو عبارة عن غرفة مقفلة، كئيبة، بائسة معتمة، حكم على ثلاثة أشخاص ليس لديهم سابق معرفة ببعضهم البعض فيها؛ لكن حكم عليهم أن يجتمعوا فيها إلى الأبد، حيث لا مخرج ولا بإمكانهم إغلاق أعينهم، ولا حتى لها أن ترمش، كل واحد منهم هو أداة تعذيب للآخر، كلما أقيمت علاقة بين شخصين، يجب أن يتدخل شخص ثالث ليدمر العلاقة، وهكذا هو الحال بينهم، حتى تصبح العلاقة بينهم معدومة، وهو ما يخلق جحيماً أسوأ من السلاسل، وأشدّ عذاباً من النار. وهذا ما عبر عنه أحد هؤلاء الأشخاص الثلاثة بقوله: "كل واحد منا هو في الواقع جلد الاثنين الآخرين" (العشري، 2019، صفحة 26)، فالشخصية الأولى هو "جوزيف جارسان"، صحفي فار من الجيش خلال الحرب يتصف بالضعف والقسوة والخيانة تسبب ضعفه، وفراره من الجيش

بإعدامه رمياً بالرصاص توفي ب 12 طلقة بصدرة مما تسبب بوفاة زوجته النقيض له "المخلصة"، ومن خلال الأحداث يتضح أنه كان يخون زوجته ويعذبها في منزله، وأنها كانت تحضر له ولعشيقته القهوة الصباحية دون أن يظهر منه اتجاهها أدنى درجات التعاطف؛ ومع ذلك يعتقد أنه بطل يخلص الوطن وبأنه زوج صالح، وبالتالي يعتقد بأنه لا يستحق أن يتواجد أبداً في الجحيم. لكنه لم يفلح في تبرئة نفسه، وقد تجسد ذلك في الحوار التالي، جارسان" كنت أدير صحيفة تدعو إلى السلام. وانفجرت الحرب. فما العمل؟... ولقد جرؤت. وشبكت ذراعي فأطلقوا على الرصاص. أين هو الخطأ؟ أين هو الخطأ؟

استيل: " (تضع يدها على ذراعه) ما من خطأ هناك. فأنت...

اينيز: (تتم العبارة. بلهجة ساخرة) - بطل. وزوجتك يا جارسان؟

جارسان: زوجتي؟ لقد انتشلتها من الوحل.

استيل: (لأينيز) أترين ! أترين !.

اينيز: أرى (فترة) على من تقوم بالتمثيل؟ إننا فيما بيننا.

استيل: (بوقاحة) فيما بيننا؟.

اينيز: من بين القتلة. نحن في الجحيم يا طفلي، لا يوجد شيء خاطئ ولا يتم تعذيب الناس أبداً بدون سبب" (ادريس، صفحة 121) . وهذا ما سبب "لجارسان" جحима إذ لم يجد أحد يصدقه ويؤمن بشجاعته وإخلاصه لوطنه، ولا حتى مصارحته بأنه ليس جباناً.

أما الشخصية الثانية هي "إينيز سيرانو" موظفة بريدية مثلية سحاقية قاسية صريحة تقر بخطئها، وبدون خجل تتصف بقوة التأثير على الآراء كانت خطيئتها إغواء زوجة ابن عمها الذي عرف بذلك فانتحر، فكانت سبباً في قتله وظلت تلقي اللوم على نفسها أمام زوجته وهي تعترف بقولها "إنّ هناك أشخاصاً تألموا من أجلنا حتى الموت، وكان ذلك يسلبنا كثيراً. ولا بد الآن من أن ندفع الثمن" (ادريس، صفحة 121)

والشخصية الثالثة تدعى "استيل ريجولت"، وهي امرأة شابة جميلة من النبلاء تزوجت رجلاً مُسناً وقد كان طبيباً من أجل ثروته، كما كانت على علاقة بشاب أصغر منها اسمه "روجيه" بدافع التسلية لكنها حملت منه وأنجبت "بناتاً" قتلتهن فرمتهن في البحيرة الأمر الذي دفع الوالد للانتحار ثم ماتت فيما بعد بالتهاب رئوي. "وما يهمها الآن بعد الموت هو أن تروي هذا الجسد... لذلك نراها تطارد الرجل الوحيد بل الرجل الأوحَد في هذا المكان باحثة عن الحب، باحثة عنه حتى ولو كان فوق عرصات الجحيم!" (العشري، 2019، صفحة 27) ، ومنه فكل شخص محكوم بأعماله، وهي مرآته أمام المجتمع، ويحاسب وفق أفعاله حتى يتسنى للآخر الحكم على تصرفاته، ويرى

سارتر أنه "يوجد رجال يولدون وهم مُلتزمون، ليس لديهم خيار، فقد تم دفعهم نحو مسار محدد، وفي نهاية هذا المسار ينتظرهم مصير لا مفر منه، وهو عملهم..." (Sartre, 1947, p. 123)، لذا، يتضح أن الحرية في هذه الحالة لا تأتي بلا تكلفة، بل قد تؤدي إلى إحساس بالضيق أو الفوضى. لكن في المسرحية هناك مقاومة الذات وتطهير النفس من الداخل، وهذا ما يصعب تحقيقه أمام انعدام الثقة لدى الآخرين "فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون الآخر" (الرويلي و البازعي، 2002، صفحة 22)، فالشخصيات الثلاثة اجتمعوا دون سابق معرفة، ولا يعرف كل واحد منهم الآخر فهم غرباء عن بعضهم البعض، وهذا ما يعقد لغة التواصل بينهم.

ويدور بين هؤلاء الثلاثة حوار، وصراع في حلقة مفرغة. وكل من الشخصيات الثلاثة تعذب الأخرى "وتلك هي ذروة الموقف الوجودي، أو على حد تعبير سارتر "عذاب الإنسان"، فالحياة هي هذا الجحيم، ولكن الفرار من الحياة هو الجحيم. والبطولة عند الوجوديين ليست في الفرار ولكنها في الاستمرار" (العشري، 2019، صفحة 31). ودائماً ما نجد "سارتر" يرمز إلى الضمير والإرادة والحرية في مسرحياته من خلال شخصياته " فقد اختار "إينيز" المرأة الصريحة إلى درجة الغطسة والازدراء، لترمز إلى الضمير الإنساني، واستيل المرأة الجميلة العابثة إلى درجة الإغراء والتهور كرمز لإرادة الحياة في الإنسان، وهذان البعدان...الضمير والإرادة هما جناحا الموقف الوجودي وهما في الوقت ذاته الأداتان الأساسيتان في يد البطل الوجودي لفهم نفسه، وفهم العالم من حوله" (العشري، 2019، صفحة 31)

لنقل، يحاول "سارتر" من خلال مسرحيته وبعبريته المعهودة؛ أن يقدم لنا أفكاره الفلسفية الوجودية بشكل إبداعي، مثير للإعجاب. تثير هذه المسرحية في نفسية المتلقي الرهبة والارتعاش الناتج عن ذلك الطوفان من الأسئلة الوجودية الحائرة والقلقة، والتي تمس الصميم الوجودي الإنساني المعقل، بسبب تلك التساؤلات التي تطرق على باب العبث، الموت والحرية، والفعل الإنساني والمسؤولية، وتعقيدات النفس البشرية، قضايا الشر والندم، وسوء النية. كل هذه التعقيدات الكامنة في خبايا النفس البشرية، يحاول "سارتر" على إثرها أن يسلط الضوء على محور أساسي في فلسفته الوجودية، وهو علاقة "الأنا بالآخر"، وعلاقة الآخرون بالذات الفردية. "وهذا الوضع يجعل (الوعي) الذاتي نفسه مختزقاً من الخارج؛ أي أن الذاتية النقية ليست نقية لأن الآخر الغريب قد دخل مسبقاً جوهر بنيتها" (الرويلي و البازعي، 2002، صفحة 24)، حيث ترمز الغرفة المغلقة في مسرحيته إلى الحياة التي يعيشها كل إنسان، الحياة التي تشبه هذه الغرفة المظلمة الكئيبة، هذه الحياة التي لا شغف فيها ولا منطق ولا تحدي ولا مغامرة، لأن كل شيء وجد من قبل، كل شيء سينتهي إلى العدم، بالتالي لا مستقبل لا حرية.

مما نفهمه من هذه المسرحية، أنّ في الطبيعة البشرية؛ صراع داخلي دائم، وأن لكل إنسان مآله وطموحاته ورغباته، وأفكاره التي تكون مختلفة عن الآخرين، نحن نتوقع من الآخرين تصرفا ونظرة معينة اتجاهنا، والآخرين يتوقعون منا تصرفا ونظرة معينة اتجاههم؛ من الصعب أن نجد توافقا كاملا. هذه الاختلافات تتحول في كثير من الأحيان إلى جحيم اجتماعي أحيانا. في فلسفة الوجودية، يعتبر جان بول سارتر أنّ الإنسان ليس كائنا مُعدّا مسبقاً بمعنى أو هدف محدد. بل هو كائن حر يتحمل المسؤولية الكاملة عن وجوده واختياراته. من خلال التزامه بقراراته وأفعاله، يقوم الإنسان بتشكيل هويته وخلق معنى لحياته. في هذا الإطار، يمكننا فهم العبارة التي تعكس جوهر الفكر الوجودي "الرجل يلتزم، وفي حياته يتكون كيانه، ولا يوجد شيء خارج هذا الكيان" (SARTRE, 1970, p. 80)، في هذا الاقتباس، يشير سارتر إلى أنّ الإنسان يجب أن يقوم باختيار والالتزام بشيء ما في حياته ليمنحها معنى. الالتزام هنا يعني اتخاذ قرارات حاسمة والعمل على تحقيقها، مما يساعد الفرد على تشكيل هويته الخاصة. في الفلسفة الوجودية، يُعتبر الإنسان مسؤولاً عن خياراته وتحديد مصيره، ولا يوجد "مسار محدد" أو "قدر" مفروض عليه من قوى خارجية أو أيديولوجيات معينة.

وعلى هذا الأساس فقد تجسدت صورة الذات والآخر في شخصية "جارسان"، الذي كان يسعى جاهدا في تضليل نظرة الآخر عنه، وتلميع شخصيته تُجاههم، مدعيا أنّه كان من دعاة السلام خلال حياته، وامتنع عن المشاركة في الحرب. غير أنّ هذا لن يشفع له أمام "استل" و"اينيز"، ولعل أول انطباع سنأخذه عنه، أنّه جبان وأقرانه يعتقدون ذلك أيضا؛ ولكننا لا نجزم الحكم عليه سطحيا "فإننا ننظر إلى الجانب السطحي في شخصيته، دون النظر في تكوين داخلها" (ربيع، 2012، صفحة 33)، جزء كبير في المسرحية يدور حول هذه القضية، حول عذابه؛ في أنّ له قيم يدافع عنها لكن لا تلقى القبول الاجتماعي بل على العكس فقد احتقره الآخرون جراء ذلك، وسواء كان "جارسان" إنسانا يخاف من دخان البنادق والدماء، أو أنّ لديه قيم لا يجراً على تجاوزها. هو وحده يعرف الحقيقة. أما بالنسبة لنا، فنحن نسلط عليه قناعاتنا ونحكم عليه بناءً على قيمنا الخاصة، "لأنّ صورة كل فرد عن ذاته تتكون من خلال نظرة الآخرين إليه" (فهمي، 1987، صفحة 14)

وعليه، يجب أن نعرف أولا ما يريده "سارتر" من هذه المسرحية. ألا وهو التمييز بين الكائن والشخص، إذ نجده ينسب للكائن كل الصفات الإزدرائية، الضعف، الفراغ السطحية والأهم من ذلك يعتبر شيئا مجردا وخاويا بدل أن يكون إنسانا، بينما الشخص يصفه بالطبائع الإيجابية، ذلك الإنسان الذي يعيش وفقا لمبادئه، الذي لا يجامل الآخرين على حساب طبيعته، الذي لا يغير نفسه لمجرد إرضاء الآخرين بشكل ما، كل منا هو مجرد كائن بالنسبة للآخر. وموقف "جارسان" هنا، أنّه ليس مضطرا لتبرير مواقفه للآخرين، وأنّه شخص بالغ وواع يدرك ما يفعله، كل

ما يطلبه بطل المسرحية من المشاهدين هو تقبل آراءه على ما هي عليه. إنَّ وجود الإنسان يكمن في حريته في اختيار هدف حياتي يتوافق مع المعنى الذي يحققه في الحياة، ثم يلزم نفسه بهذا الهدف ويدفع ثمنه، وهذا ما قاله "جارسان" "لإستيل" في حوار دار بينهما للدفاع عن مبادئه "والآن أخبريني، أترين من الخطأ أن يحيا الإنسان من أجل مبادئه" (العشري، 2019، صفحة 65)

فالإنسان دون أن يدرك نفسه، هو يقضي معظم حياته يعاني مسألة تقبل الآخرين له، فإذا بالغت في السعي وراء إرضاء الآخرين قد تفقد شخصيتك، قد تفقد حريتك في التصرف، حريتك في أن تكون نفسك كيفما تريد، أن تكون كائنًا بدل أن تكون شخصاً أو إنساناً، أن تنتظر من الآخرين ختم الموافقة إن صح التعبير. نحن نسلط على الآخرين أموراً معينة، ونسلط على أنفسنا أيضاً أموراً معينة يحدث هذا طوال الوقت. المشكلة النفسية هنا هي عندما تسلط على نفسك تكون قد حددت نفسك، والطريقة الوحيدة التي يمكنك من خلالها أن تصبح نفسك حقاً، هي أن تمتلك جانباً شخصياً.

الكائن موجود فقط فيما يتعلق بالموضوعية، وهذا شيء يحد من الحرية حسب "سارتر" لأنك مادمت شخصاً فأنت مستقل، وستكون قادراً على أن تصنع نفسك، ويمكنك أن ترى نفسك بشكل إيجابي، ومع ذلك فأنت تريد أن ترى بالرغم من كل ما قيل، وهذه هي المشكلة. فالبعض يسعون إلى قبول الآخرين، وقد تصل إلى مرحلة أننا نحرص بشدة على معرفة ما يقوله الآخرون، وهذا يجبرنا على أن نقلق من رأي الآخرين لدرجة تمنعنا من التفكير بشكل صحيح؛ بتعبير آخر في مثل هكذا موقف نحن الذين نخترل أنفسنا إلى كائنات بدل أن يفعلها الآخرون، لذلك نفشل في تكوين شخصيتنا المميزة. وعليه فالجسيم المجازي "سارتر" هو مسألة تقبل الآخرين لنا، " وللتوضيح أكثر لقد وضع رجلاً بين امرأتين لكي يحقق المثلث الكلاسيكي الأثير لدى الفرنسيين من جهة، ولكي يجعل شخصياته الثلاث من ناحية أخرى مرايا عاكسة لصور عديدة لحدث واحد" (العشري، 2019، صفحة 32) ، ويذكر "سارتر" أنَّ هذا ليس أمراً سيئاً بالضرورة، فقد يكون هذا الاختلاف هو الذي سيظهر لك مدى استقلاليته واختلافك، فقد يكون هذا الصراع هو قضيتك في الحياة لإثبات نفسك أمام الآخرين؛ فأنت لن تكون مستقلاً إذا لم يكن هناك آخرون، ولن تكون مختلفاً إذا ما لم تقارن مع الآخرين، لذلك أنت بحاجة إلى الآخرين وآرائهم، وتدخلاتهم في حياتك، لكن عليك أن تعرف متى تعمل بها، و ما هو المفيد والمضر بالنسبة لك.

النظرة وفقاً لسارتر هي فكرة عن الوعي، وهي عندما يجبر الوعي نفسه من الانتباه لوجوده من منظور خارجي منفصل عنه، ويمكن من خلال هذه النظرة أن تجعل الوعي ينعكس على نفسه، وإذا تمكن المرء من استغلال النظرة بهذه الطريقة سيكون ذا وعي، وإدراك أعلى بنفسه وبما حوله، وإذا عجز عن استغلالها سيتحول

حينها إلى مجرد كائن. وحول موضوع النظرة إليكم ما ذكره "سارتر" في كتابه "الوجود والعدم" دعونا نتخيل أن الفضول والاستياء دفعني إلى وضع أذني على الباب والنظر من خلال ثقب المفتاح. أنا هنا وحدي، على مستوى الوعي الذاتي، دون أي قيود. أولاً، هذا يعني أن لدي روحاً في وعيي، لذا لا أستطيع النظر إلى أفعالي لتقييمها. أي أنني لا أستطيع أن أفهم ما أفعله بأي شكل من الأشكال. أنا أفعالي، وبالتالي لديها سبب وجيه في حد ذاتها. وعيي نقي ومدرَك للأشياء. وكانت الأمور مقتصرة على دائرة نفسي؛ لقد أظهرت لي إمكاناتها كدليل على أنني كنت على دراية بإمكانياتي الخاصة. هذا يعني أن هناك خلف هذا الباب مشهد "يمكن رؤيته، أو حوار "يمكن سماعه". لكن فجأة أسمع صوت خطأ في الممر. هناك شخص آخر ينظر إلي الآن. ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنني تأثرت فجأة في وجودي وأنّ تعديلات أساسية ستظهر في بنيتي، التعديلات التي يمكنني استيعابها وإصلاحها من الناحية المفاهيمية عن طريق الانعكاس في تصرفاتي.

في البداية كنت على طبيعتي بسبب وعيي غير التأملّي؛ لكن مع حضور الآخر أرى نفسي، لأنّ شخصا ما يراني. فقط الوعي التأملّي لديه الذات المباشرة بالنسبة للكائن، لا يدرك الوعي غير التأملّي الشخص بشكل مباشر أو كجزء منه؛ يتم تقديم الشخص للوعي بقدر ما هو كائن بالنسبة للآخر. هذا يعني أنني فجأة أدرك أنني أهرب من نفسي، ليس لكوني أساس العدم الخاص بي، ولكن في أنني أمتلك هيئة خارج نفسي. أنا لنفسي فقط لأنني إشارة خالصة إلى الآخر.

وما يقوله "سارتر" هنا بشكل أساسي، هو أنّ الآخر يجب أن يكون شخص أو مجموعة يجعل الوعي غير التأملّي ينعكس فجأة على نفسه لترى نفسك من موقع الآخر، والآخر بهذا المعنى يعمل كمحفز لكونك انعكاس لذاتك وما هو الآخر، وهذا يغير أيضاً من تصرفاتك وبسبب هذا، فإنّ الوعي التأملّي الذي حققته الآن من خلال الاتصال بالآخر يحولك من شخص إلى كائن، كائن غير قابل للتواصل. وأتّه هناك الآن الرغبة في الهروب من الذات، إتّه ببساطة شيء تريد أن تبتعد عنه، ولهذا قال "سارتر" أنا مدرك لنفسي لأنني أهرب من نفسي، وفيما أثار إليه بالنظرة؛ أي النظرة إلى أنفسنا من خلال عيون الآخر. كيف ستبدو تلك من المسببات الأخرى؛ لتصبح واعياً تأملّي ذاتياً ينظر إلى الذات ككائن، وهو ما نريد الهروب منه بعد الشعور فيما يتعلق بالنظرة من خلال ثقب المفتاح، لا يظهر عندما يرتكب شخص عملاً دنيئاً، ولكن هذا موجود في كل الأوقات وفي الأعراف الاجتماعية وبالطبع في منازلنا.

فقط عندما يعرف المرء أنّه وحيد تماماً يتضاءل هذا الشعور المزعج بنظرة الآخرين، تصبح هناك القناعة التامة بأنّ المرء يتحكم بشكل كامل في تصرفاته، ادعى "سارتر" أنّه إنساني وجودي ليبرالي يدافع عن الحرية

المطلقة، وكان لديه نفور شديد من قيود الدولة والمجتمع على حرية الفرد، لذلك ليس من المستغرب أن ينادي "سارتر" بقوة للعودة إلى الذات؛ ولكي يحدث ذلك يجب على المرء في نظر "سارتر" أن يكون منيعاً لقوى النظرة والآخر، بحيث لا يتحلل المرء في فضاء الجماعة.

لذلك فإن سبب الاقتباس الشهير "الجحيم هو الآخرون"، هو لأن الجحيم بالمعنى الاجتماعي هيمنة الآخر أو الآخرين على الذات على سيادة الفرد بحيث تختفي الذات الفردية، يرى "سارتر" أن العديد من الأفراد لا يريدون أن يحكم عليهم الآخرون سلباً بسبب هذا الميل الطبيعي؛ وهذا ما يجعل كثير من الناس لا يتصرفون بشكل أساسي من خلال الذات عندما يكون هناك آخرون موجودون من حولهم، والذين لا يقبلون طبائع معينة.

وبالتالي فإن المرء لا يحظى بالاستقلالية؛ إذا كان أحدهم يبقى طوال حياته مفتقدا لأي استقلالية، فسيكون هذا الفرد في حالة مما أسماه "سارتر" سوء النية، وهو سوء النية اتجاه نفسه، في كلتا الحالتين نعيش باستمرار تحت حجاب الآخر، ويكون الآخر حاضراً باستمرار، بمعنى أنه عندما لا يكون الآخرون موجودون، فإننا نبقى نشعر بأن هناك نظاماً اجتماعياً جماعياً لما هو مقبول، وما هو غير مقبول.

نحن ببساطة نتأثر بما افترضناه عن تصورات الآخرين المتعلقة بأفكارهم تُحاهنا، وهذا بالضبط ما يحدث في المسرحية، حيث يحاول "جرسان" باستمرار إقناع الجميع أنه ليس ذلك الشخص الذي أخذنا انطباعاً سلبياً عنه وأنه ليس جباناً، بإخفاء حقيقة غير مرضية أو تقديم خطأ مرضي على أنه حقيقة، ولكن إحدى الشخصيات الأخرى تُصر باستمرار أنه كذلك، وتَعِدُه بجعله تعيساً إلى الأبد.

كما قلنا دافع "سارتر" عن الحرية الفردية الكاملة على الرغم من أفكاره الماركسية، فمثاله السابق على النظرة من خلال ثقب المفتاح؛ التي يصف فيها الذات والآخر بشكل جيد جداً، يوضح فيها طبيعة فعل استراق النظر إلى خصوصية الآخرين، يظل عملاً مشكوكاً فيه ومثيراً للجدل. كيف يرى فعل النظرة الخاطفة أمراً جيداً، ووجود الآخرين أمراً سيئاً. هذا يجعلني أتساءل أكثر عن معايير الأخلاقية، ويفتح نقاشاً حول مقدار الحرية الفردية التي تعتبر إيجابية، ومدى تدخل الأسرة والمجتمع الضروري لتصحيح مثل هذه الأفعال الغريبة، حتى إن البعض تساءل عن موقفه من الوضع برمته.

إن الكائن سيء والشخص جيد، ماذا لو كنا مخطئين في بعض المواقف؟. ماذا لو قمنا بتغيير معاييرنا بناءً على القيم الأخلاقية أو بناءً على النصيحة من شخص أكثر عقلانية؟. أو مع تقدمنا في العمر بدافع الشعور بالذنب. يمكن تصحيح بعض الأفعال والنزوات بالنصيحة والإرشاد، والبعض الآخر بالعقاب. لكن لا توجد أي من هذه الاعتبارات للآخرين في مسرحية "سارتر" هذه.

اعتقد أنّ أطروحته صحيحة، لكنها لا تعرض كل الحقيقة بل تعرض وجها واحدا لها؛ فهناك الوجه الآخر والذي نكون فيه نحن جحيما، ويكون الآخرون هم الجنة.

6. خاتمة:

ونختتم بالقول إننا نحاول من خلال هذه الدراسة توضيح صورة الذات والآخرين. وأراد سارتر في مسرحيته "لا مفر"، أن يُظهر للقارئ أو المشاهد أهم ركائز فلسفته الوجودية، وهي أنه في فكر "سارتر"، كل شخص يمتلك قدره، وأن يصنع حياته وماهيته ببديه.

فهذا الإنسان وجود يبحث عن ماهيته، أيضا يخبرنا "سارتر" أنّ المرء كائن حر، وأنّه عليه أن يعيش هذه الحرية، وعليه أن يختار من ضمن إمكانيات متاحة، وأن يتحمل وزر اختياراته؛ لأنّه سيبقى مرتبط بالفعل الذي سيقدم عليه من واقع حريته، كما هو حال الأبطال الثلاثة "جارسان، إنييز، إستيل" في تلك الغرفة المعتمدة، وأيضا يخبر "سارتر" القارئ والمشهد بأنّه وإن كان حرا إلا أنّه من جهة أخرى محكوم عليه بالعيش مع الآخرين، وتحت رحمة عيونهم التي ستتهش بكيانه ووجوده، محكوم بأن تعيش مع قيود الآخرين التي تنفي الذاتية والفردية، وتقيد حرية الفرد. فنحن محاصرون في نهاية الأمر بنظرة الآخرين لنا؛ هذه النظرة التي تُحوّل الإنسان إلى شيء، هذه النظرة التي تعرّينا بلا رحمة، وتطلق علينا الأحكام، التي تمس معنى ما في وجودنا، وهكذا يتحول الآخرون إلى جحيم بالنسبة لنا، ونتحول بدورنا إلى جحيم بالنسبة للآخرين. هذا يعني في نهاية المطاف أنّ الجحيم الحقيقي هو النفس البشرية التي تلعب دور الضحية والجلاد في آن معا.

ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، نذكر:

- تعتبر مسرحية سارتر "لا مفر" إحدى الأعمال التأسيسية للقرن العشرين، والتي من خلالها حدد فلسفته الوجودية، مؤكدا على أهمية الوجود الفردي والاختيار والمسؤولية.
- يستكشف سارتر الجانب المظلم من حياة الإنسان من خلال شخصيته البطولية "جارسان"، التي يمثلها الصراع بين الذات والآخر.
- كان جان بول سارتر كاتبًا مبدعًا، استخدم الأفكار الفلسفية الوجودية لإضفاء نكهة فنية على الدراما واستكشف تأثيرها على المجتمع الفرنسي والمجتمعات الأخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

1. أسعد رزق. (1987). موسوعة علم النفس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
2. توماس أرفلين، تر: مروة عبدالسلام. (2014). الوجودية مقدمة قصيرة جداً. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
3. جان بول، سارتر، تر: جلال العشري. (2019). من الوجودية إلى العبث. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. جان بول، سارتر، تر: سهيل ادريس. مسرحيات سارتر. بيروت: منشورات دار الآداب .
5. جون ماكوري، تر: امام عبدالفتاح امام. (1986). الوجودية. الكويت: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
6. عبد الفتاح محمد دويدار. (1992). سيكيولوجية العنقة بين مفهومي الذات والتجاهلات. دار المعرفة الجامعية.
7. محمد شحاته ربيع. (2012). علم نفس الشخصية. عمان-الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
8. مصطفى فهمي. (1987). الكيف النفسي. مصر: دار مصر للطباعة.
9. ميجان، الرويلي، و سعد، البازعي. (2002). دليل الناقد الأدبي. المغرب: المركز الثقافي العربي.

باللغة الأجنبية:

10. Sartre, J.-P. (1970). *L'existentialisme est un humanisme*. Paris: Les éditions Nagel .
11. Sartre, J.-P. (1947). *Huit clos suivi de Les Mouches*. Paris: Gallimard .